فان الانسان متى ما ادعى حرفة ابيه وجده لم يستبعد ذلك منه وايضا فكمال درجة
ابراهيم واسحق ويعقوب امر مشهور في الدنيا فاذا ظهر انه ولدهم عظموه ونظروا اليه
بعين الاجلال فكان انقيادهم اليه اتم وتاثر قلوبهم بكماله اكمل فان قيل انه كان نبيا
فكيف قال اتبعت ملة ابائي والنبي لابد وان يكون مختصا بشريعة نفسه اجيب
بان مراده التوحيد الذي لا يتغير او لعله كان رسولا من عند الله الا انه كان نبيا على
شريعة ابراهيم عليه السلام وقرا عاصم وحمزة والكسائي بسكون يا ابائي والباقون
بالفتح ما كان اي ما صح لنا معشر الانبيا ان نشرك بالله من شيء لان الله تعالى
طهره وطهر اباءه عن الكفر ونظيره قوله تعالى ما كان لله ان يتخذ من ولد وانما قال
من شيء لان اصناف الشرك كثيرة فمنهم من يعبد الاصنام ومنهم من يعبد
النار ومنهم من يعبد الكواكب ومنهم من يعبد الملئكة فقوله من شيء رد على
هولا الطوايف وارشاد الى الدين الحق وهو انه لا موجود ولا خالق ولا رازق
الا الله تعالى ذلك اي التوحيد من فضل الله علينا بالوحي وعلى الناس اي سايرهم
ببعثنا بارشادهم وتنبيههم عليه ولكن اكثر الناس اي المبعوثون اليهم
لا يشكرون هذه النعمة التي انعم الله تعالى بها عليهم لانهم تركوا عبادته وعبدوا
غيره ثم دعاهما الى الايمان فقال يا صاحبي السجن اي يا صاحبي في السجن
فاضافهما الى السجن كما تقول يا سارق الليلة فكما ان الليلة مسروق فيها
غير مسروقة فكذلك السجن مصحوب فيه غير مصحوب وانما المصحوب غيره
وهو يوسف عليه السلام او يا ساكني السجن كما يقال لسكان الجنة اصحاب
الجنة ولسكان النار اصحاب النار ارباب اي الهة متفرقون اي متباينون
من ذهب وفضة وصفر وحديد وخشب وحجارة وصغير وكبير ومتوسط وغير
ذلك خير اي اعظم في صفة المدح واولى بالطاعة ام الله الواحد القهار اي
المتوحد بالالوهية الذي لا يغالب ولا يشاركه في الربوبية غيره خير والاستفهام
للتقرير وفي الهمزتين في ارباب من القراآت ما في انذرتهم وقد مر فان قيل هل يجوز
التفاضل بين الاصنام وبين الله تعالى حتى يقال خير ام الله اجيب بان ذلك
خرج على سبيل الفرض والمعنى لو سلمنا انه حصل منها ما يوجب الخير فهو خير
ام الله الواحد القهار ثم بين عجز الاصنام فقال ما تعبدون وانما خاطبهم بلفظ
الجمع وقد ابتدا بالتثنية في المخاطبة لانه اراد جميع من في السجن من المشركين
والعبادة خضوع القلب في اعلا مراتب الخضوع وبين حقارة معبوداتهم وكونها
بقوله من دونه اي الله الذي قام البرهان على الهيته وعلى اختصاصه بذلك
الا اسما وبين ما يريد واوضحه بقوله سميتموها اي ذوات اوجدتم لها
اسما انتم سميتموها الهة وارباب وهي حجارة جماد خالية عن المعنى لا حقيقة
لها وآباؤكم من قبلكم سميتموها كذلك ما انزل الله بها اي بعبادتها من
سلطان اي حجة وبرهان ان الحكم اي ما الحكم الا لله اي المختص بصفات

الكمال

الكمال والحكم فصل الامر بما تدعو اليه الحكمة امر وهو النافذ الامر المطاع الحكم ان لا
تعبدوا الا اياه لانه المستحق للعبادة لا هذه الاسما التي سميتموها الهة
ولما قام الدليل على هذا الوجه الذي كان جديرا بالاشارة الى فضله اشار اليه
باداة البعد تنبيها على علو مقامه وعظيم شانه فقال ذلك اي الشان الاعظم وهو
توحيده وافراده عن خلقه الدين القيم اي المستقيم الذي لا عوج فيه ولكن اكثر الناس
وهم الكفار لا يعلمون لما يصيرون اليه من العذاب فيشركون ولما قرر يوسف عليه
امر التوحيد والنبوة عاد الى الجواب عن السؤال الذي ذكراه فقال يا صاحبي السجن
اي الذي يحصل فيه الانكسار للنفس والرقة في القلب فتخلص فيه المودة ولما كان
في الجواب ما يسوء الخباز ابهم ليجوز كل منهما انه الفايز فان الجاه الى التعبير كان
ذلك عذرا له في الخروج عن الاليق فقال اما احدكما وهو صاحب شراب الملك
فيسقي ربه اي سيده خمرا على عادته والعناقيد الثلاث هي ثلاثة ايام
تبقى في السجن ثم يدعو به الملك فيرده الى مرتبته التي كان عليها تاويل رؤياه
واما الاخر وهو صاحب طعام الملك فيصلب والسلال الثلاثة ثلاثة ايام
ويدعو به الملك فيصلبه فتاكل الطير من راسه هذا تاويل رؤياه قال ابن مسعود
فلما سمعا قول يوسف عليه السلام قالا ما راينا شيا انما كنا نلعب فقال لهما
يوسف عليه السلام قضي اي تم الامر الذي فيه تستفتيان اي تطلبان الافتا
فيه عملا بالفتوة فسالتما عن تاويله وهو تعبير رؤياكما كذبتما او صدقتما لم اقله
عن جهل ولا غلط وقال يوسف عليه السلام للذي ظن اي علم وتحقق الظن
بمعنى العلم لانه قاله عن وحي لقوله قضي الامر ويجوز ان يكون ضمير ظن للساقي
فهو حينئذ على بابه انه ناج منهما وهو الساقي اذكرني عند ربك اي سيدك
ملك مصر بما رايت مني من معاني الاخلاق وطهارة الشيم الدالة على بعدي
عما رميت به والمراد بالرب هنا غير المراد به في قوله ارباب متفرقون فنجا الساقي
وصلب صاحبه ووقع ما قال لهما يوسف عليه السلام واختلف في ضمير فانساه
الشيطان ذكر ربه على قولين احدهما انه يعود الى الساقي وهو قول جماعة من
المفسرين اي فانسى الشيطان الساقي ان يذكر يوسف عليه السلام عند
الملك قالوا لان صرف وسوسة الشيطان الى ذلك الرجل الساقي حتى انساه
ذكر يوسف اولى من صرفها الى يوسف والقول الثاني وعليه اكثر المفسرين انه
يرجع الى يوسف عليه السلام وقال الرازي انه الحق اي ان الشيطان انسى
يوسف ذكر ربه تعالى حتى استعان بمخلوق مثله وتلك غفلة عرضت له عليه
السلام فان الاستعانة بالمخلوق في رفع الظلم جايزة في الشريعة الا ان حسنات
الابرار سيات المقربين فهذا وان كان جايزا لعامة الخلق الا ان الاولى بالصديقين
ان يقطعوا نظرهم عن الاسباب بالكلية وان لا يشتغلوا الا بمسبب الاسباب
فلهذا صار يوسف عليه السلام مواخذا بهذا القول ولم يواخذه تعالى في تلك القصة

Copyright ... University